البعد الإيديولوجي للمكان في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة.

The ideological dimension of place in the contemporary Algerian short story.

*- د.مريم بغيبغ .

*- مخبر الدراسات الأدبية والنقدية بالمركز الجامعي ميلة.

*- المركز الجامعي –ميلة - الجزائر

meriem.beghibegh@center-univ-mila.dz*

تاريخ الإرسال:19-08-2022 تاريخ القبول: 10-11-2022

الملخص:

إن المكان داخل العمل القصصي هو مكان خاص بالكاتب رغم إمكانية وجوده في الحقيقة، له مميزاته وخصائصه التي ترتبط حتما بمسار الشخصية وثقافتها وسيرورة الأحداث فهو ليس ذلك المكان الذي اعتدنا العيش فيه ،إلا أنه عنصر مهم ومكون للعمل القصصي يتخذ عدة أبعاد داخله :كالبعد التاريخي ، والبعد الديني ، والبعد الثقافي ، والبعد الإيديولوجي...وعليه سيتناول هذا المقال البعد الإيديولوجي للمكان في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة ، من خلال بعض المجموعات القصصية القصيرة المنشورة في فترة الثمانينيات .

الكلمات المفتاحية: القصة القصيرة ، المكان ، البعد الإيديولوجي،البعد الثقافي.

Abstract:

The place within the fictional work is a special place for the writer, despite the possibility of its existence in reality. It has its own characteristics and characteristics that are inevitably related to the path of the personality, its culture, and the course of events. And the religious dimension, and the cultural dimension, and the ideological dimension... Accordingly, this article will deal with the ideological dimension of place in the contemporary Algerian short story, through some collections of short stories published in the eighties.

Keywords: The short story, the place, the ideological dimension, the cultural dimension.

مدخل:

يدخل المكان في نسيج النص كأحد الشخصيات التاريخية الواقعية ، فلا يكون ذكر هذه الأماكن ذكرا عابرا، خاصة أن من مميزات القصة القصيرة التكثيف عكس " الرواية التي من كثرة توظيفها للأمكنة اصطلح على تسميتها في نهاية المطاف رواية الأمكنة "[1]، التي يكون فيها المكان عنصرا فعالا و ليس فضاء أفقيا للنص فقط ، حيث تكون الأفعال والأحداث فيه و تنمو و تتحول و تتضح معالم الشخصيات من خلاله .

أما في القصة فيقوم المكان بوصفه عنصرا يتميز بخصوصية أكثر من خصوصيته في الرواية ، فالقصة لا يمكن أن نطلق عليها قصص الأمكنة و هذا لأنها لا تركز على المكان أكثر من تركيزها على الأحداث و الحبكة و العقدة و الحل إلا أن ذكر بعض الأمكنة الواقعية قد يحمل لنا العديد من الدلالات و الأبعاد و قد تطرقت بعض المجموعات القصصية القصيرة الجزائرية المعاصرة للبعد الإيديولوجي للأمكنة ،مثل (مجموعة **شذرات من اعتر افات مارق** لعلاوى بوجادي ، مجموعة **من فيض الرحلة** لمصطفى نطور ، مجموعة **القرص الأصفر** لبشير خلف ، ومجموعة **حين يبرعم الرفض** لإدريس بوذيبة ، ومجموعة **البرق** لعزي بوخالفة ، ومجموعة **حداد النوارس البيضاء** لمصطفى الفاسي ، ومجموعة **عيون الجازية** لعبد الحميد بورايو)، وقد تجسد هذا البعد من خلال :

1- البعد الإيديولوجي للقرية :

كانت الاشتراكية الجزائرية السبب المباشر في ظهور هذا النمط الجديد من المجمعات السكنية الذي يشبه الريف كما أنه يتقاطع مع المدينة، وقد سمحت بظهور ما يسمى بالثورة الزراعية التي ساهمت في بناء قرى ريفية، فتراجع الإقطاع "وسما الفلاح حتى أصبح هو العمود الفقري في هذا البناء السياسي والاقتصادي، وبصعوده استقرت الأرض على أنها هي القيمة الأولى واستوت على أنها هي الحافظة لهذه القيمة "[2]

ولا يمكن لنا أن نقول أن هذه الثورة كانت فعلا الدافع الأساسي لانتعاش الفلاح الجزائري المغبون ،لأن المجموعات القصصية التي بين أيدينا تراوحت بين الرضا والتفاؤل وبين الخيبة والأمل، وقد وظفها القاص الجزائري تقريبا في كل قصصه وربطها بالريف، فكانت القرية هي المكان الرحمي والأصلي وهي الأم التي لا يفارقها وإن فارقها فالرجوع إلى الأصل فضيلة.

بعد الانقلاب العسكري الذي قام به هواري بومدين في جوان1965 ومع تزايد وتيرة الظلم والقهر الاجتماعي والفقر والفساد والبيروقراطية تم اعتماد الاشتراكية نظاما للجزائر "واعتبارها هي الحل الجذري لقضايا التنمية في الجزائر ،على أن يسندها الإصلاح الزراعي"[3] ،وهذا الإصلاح أدى إلى ظهور ريف حضاري يسمى بالقرى الاشتراكية/ القرى النموذجية، هذه الأخيرة التي جاء ذكرها في المجموعة القصصية "شذرات من اعترافات مارق "للقاص علاوة بوجادي، في قصة "البدلة ذات الأزرار المذهبة" :

"مرّ القطار بقرية نموذجية تقع غير بعيدة عن السكة...مساكنها الرحبة البيضاء... قرميدها الأحمر الزاهي... طرقها الفسيحة المستقيمة مئذنة مسجدها... وثمن المرشح لو يأتي تعيينه في قرية نموذجية يجري بناؤها أدنى السد الأخضر، أو الطريق العابر للصحراء"[4].

إن القاص في هذا المقطع الذي يشرح مزايا القرية الاشتراكية/ النموذجية التي لا تبتعد كثيرا عن السكة الحديدية، وهذا يدل على قربها من المواصلات فهي ليست كالريف منقطعة عن الحياة المدنية .

كما يذكر القاص نظافة هذه القرى التي تحمل سمات الحضارة، فمساكنها رحبة بيضاء وقرميدها أحمر، أما طرقها فهي فسيحة ومستقيمة، وهذا ما كان يفتقر إليه الريف الجزائري خاصة الطرق الطينية التي تجعل الريف في فصل الشتاء يغرق في الأوحال والطين، كما أن لهذه القرية مسجدا يجتمعون فيه للصلاة والذكر إلا أن القاص ينهي حديثه عن القرية النموذجية بقفلة استهزائية مستغربا من السلطات كيف استطاعت بناء هذه القرى، فيما عجزت عن استكمال مشروع السد الأخضر الذي يحارب التصحر، وشق طريق عابر إلى صحرائنا الواسعة البعيدة .

في قصة **من فيض الرحلة** للقاص مصطفى نطور، يصور لنا مجموعة من الموظفين اتفقوا على القيام بنزهة إلى القرية الاشتراكية الأولى حيث يقول : "تذكروا الفرح الذي غمرهم عندما اتفقوا على القيام بهذه الرحلة إلى القرية الاشتراكية الأولى التي نبتت على كتف جبل الساقية الحمراء كقرنفلة برية"[5].

إن هذا الفرح الذي رافق، رحلتهم الأولى لهذه القرية نابع من اندهاشهم بها، فقد تعودوا على نمط معين للأكواخ الريفية، وانعدام المواصلات بها أما القرية الاشتراكية فهي

مثل الريف لكنها حضارية أكثر منه، بها الحياة المدنية التي تستهوي الشباب وفيها الزراعة وتربية المواشي وهي ظواهر ريفية يهتم بها الأجداد والآباء.

يتطرق القاص بشير خلف في مجموعته القصصية "القرص الأحمر" للقرية الاشتراكية أو للريف الذي أقيمت عليه إصلاحات حيث يقول: " أحياء عصرية أقيمت في ضواحي القرية التي لم تعد قرية إصلاحات جديدة أدخلت على الأحياء العتيقة ، لكن ها هو حينا لا يزال على حاله لم يطرأ عليه تغيير ، زقاقنا الذي درجت فيه و على أديمه أمضيت سنوات الطفولة ... رحت أمشي ونفسي غير مصدقة أنه زقاقنا بعينه أكد لي ذلك مسجده المتربع على عرشه يسخر بالأيام و ما تأتي به الطبيعة "[6].

في هذا المقطع يصف القاص التغير الواضح على القرى الريفية ، و هذا للإصلاحات التي قامت بها الثورة الزراعية من خلال بنائها لقرى نموذجية فيصف لنا البطل الذي رحل عن الريف إلى المدينة ، ثم عاد إليه حيث يتعجب من التغير الواضح عليه ، أحياء عصرية / إصلاحات جديدة على الأحياء العتيقة / إلا أنه يلمح حبيبته في ذلك المكان / الزقاق ، الذي كان يجمعهم في الماضي ، فالمكان / الزقاق كان كالجمرة التي أشعلت حبه من جديد رغم كل التغيير الذي طرأ على القرية ، ولم يربط القاص الجزائري القرية فقط بالاشتراكية، فقد تطرق للقرية إبان الاستعمار فرمزت تارة للوطن وتارة للمرأة.

1.1- القرية / الوطن :

" القرية الجاثمة بين أحضان واديين صغيرين تحف بهما أشجار السرو و الضرضار لقد أقبل ليجلد الأرض بساطا من الجفاف و القحط فينكمش وجه الأرض و تتجعد أخاديد عميقة على السطح "[7].

بهذا الوصف للقرية استهل القاص إدريس بوذيبة قصته حيث يذكر لنا مكان القرية التي تقع بين واديين و قرب القرية من الوادي له أسبابه الخاصة المتمثلة في الحاجة إلى المياه لذلك فهو يحمل شحنة دلالية سلبية و أخرى إيجابية ، الإيجابية ما ذكرنا و السلبية هي أن القرية قد تكون مهددة في مواسم تساقط الثلوج والأمطار .

بما أن القرى الجزائرية قد شهدت طيلة الفترة الاستعمارية ، أعنف و أشد أنواع العنف الممارس على أبنائها الذين قضوا فداء للأرض و الوطن " لقد مات أبوه في إحدى الغارات المشؤومة على القرية بالطائرات التي أتت على كل شيء فيها "[8]، و منه فالقاص

يلخص لنا حال القرية في أيام الاستعمار ، فكانت القرية هي رمز للبذل و العطاء و الوطن " لقد مات أبوه " و هي كناية عن أبناء القرية الذين ضحوا من أجل هذا الوطن الذي تنكر لهم فيما بعد و يظهر أن هذه الغارات يقوم بها الاحتلال من وقت لآخر لذلك يصفها بالمشؤومة لأنها لا تأخذ الأرواح فقط، و إنما تحدث الدمار للقرى " دوي المدافع يهز القرية التي جمع سكانها الفرنسيون في بطحة تحت وهج الشمس ، وهم ينتظرون مصيرهم بين الحين و الحين ... أطلقت المدفعية عياراتها على المنازل ، منازل القرية الطوبية التي لم تصمد أكثر من بضع ثوان انهارت"[9] .

هكذا يصف القاص "عزي بوخالفة" في مجموعته القصصية البرق ، إحدى الغارات الجوية كيف تمر على القرية و سكانها، تدور أحداث قصة "ذكريات بالأبيض و الأسود " حول شخصية جزائرية أثناء الثورة التحريرية الكبرى، و هي عبارة عن لص يحترف سرقة الدجاج شخصية لا علاقة لها بالثورة / بالنضال / بالجهاد إلا أن العماء الذي كان يعلو عيون المستعمر ، شك في أمره فاعتقلوه ظنا منهم أنه على علاقة " بالفلاقة " أو المجاهدين و من أجل اعتقاله فقد داهمت القرية و أحدثت الدمار النفسي و المادي من خوف أعقبه اغتيال عشوائي لأبناء القرية ثم بعد ذلك قاموا بتهديم المنازل الطوبية و هنا تكمن حقيقة الحقد الفرنسي و قد اعتقلت هذه الشخصية / اللصة ، إلا أن القاص يبين أن السجن في تلك الفترة كان مدرسة تربي فيها الجزائريون على حب الوطن ، هناك يتعرف على رجل يدعى " الموسطاش " و الذي يثبت فيه روح الجهاد و الانضمام إلى الثوار و الالتحاق بالجبل .

"القرية أفق كلما اقتربت منها ابتعدت عنك "[10]، بهذا الحكم المطلق تنطق شخصية قصة "غائب في زمن الحضور " و هذا القرار حول المكان / القرية ليس نابعا عن قناعة وخبرة فقط بل نهض من شخصية عالمة لأغوار هذا المكان، بطل هذه القصة بترت ذراعه في إحدى المعارك فهاجر إلى فرنسا و تزوج من فرنسية، حيث كان يقطن في قرية تدعى "نزلة داب راقد" [11]،حينما سافر منها حاول مرارا و تكرارا أن يبني علاقة وطيدة مع القرية و أبنائها و لكن دون جدوى ، عندما رحل عنها أحس بالحنين إليها لأنها مكان رحمي وهي المكان الأصل .

لذلك نجده في محاولة دائمة للاقتراب منها ثانية و لكن بعد سنوات من الغربة ، لذلك عندما يعود يجدها قد أصبحت قرية كبيرة و تغير اسمها مع الإصلاحات الزراعية ، و اضمحلال الإقطاعية ، حيث أصبحت أرضها أرضا للجماعة، و رغم أن القرية لم تعرفه إلا

أنه يترك كل شيء هناك (الرفاهية ، الزوجة ، الأولاد) و يحاول أن يتقرب من هذه القرية فيعيش فيها إلى الأبد .

" القرية المربعة الشكل تجثم بدورها المبنية بالطوب الأزرق وسط مجموعة من الهضاب الرملية في طرف القرية و في مبنى العين ينطلق الماء من وسط الأنبوب ليرتفع قليلا نحو الشمس فتنغرز فيه الأشعة المسلوبة فيرتد ليستقر في الحوض مغلوبا على أمره "[12]، يصف لنا القاص عبد الحميد بورايو القرية في هدوئها و سكونها و هو وصف حميمي :

- من الناحية الهندسية فالقرية مربعة الشكل ، تتفرع فيها ديار مبنية بالطوب الأزرق
- ارتبط وصف القرية بمظاهر طبيعية (الهضاب الرملية ، العين ، الشمس) .
- نحس باقتراب القاص من القرية ، كما نشعر بالحب الذي يربطه بهذا المكان من خلال هذا الهدوء الذي أصبغه على القرية .
-في هذا النص نجد أن الصفات المنسوبة للقرية هي صفات هندسية تعرفنا من خلالها على هيئة هذا المكان، و استطاع الكاتب أن يقربنا منه.

2.1- القرية / المرأة :

نجد أن القرية حاضرة عند القاص مصطفى الفاسي في مجموعته القصصية حداد النوارس البيضاء و هي مسرح أحداث قصصه ، في قصته "و يعم الحقد فيزهر الفجر ورودا " ، في هذه القصة تلبس القرية الحزن على بطلة القصة ربيعة التي ترفض أن تغتصب من طرف الفرنسي الاقطاعي مارسيل فيقتلها :

"خرج الناس جميعا في القرية كانوا ينتحبون، الأطفال كذلك كانوا جميعا يبكون... ليست في ذلك اليوم الأرض قتامة"[13].

هنا نجد أن القرية تحمل خطابا واحدا هو رفض اغتصاب ربيعة و قتلها و هي إشارة إلى رفض القرية للمحتل الذي اغتصب الوطن ، حتى الأطفال كانوا جميعا يبكون و هنا يبين القاص أن الثورة الجزائرية ساهم فيها الكبير و الصغير " مسكينة هي ربيعة زهرة فتيات القرية "[14]، ربيعة في الحقيقة هي الجزائر التي ظلت لسنوات تنتظر الحرية و يمكن أن نبين التشابه فيما يلي :

ربيعة : زهرة فتيات القرية / تنتظر أحمد حبيبها / يحاول مارسيل اغتصابها / تقتل .الجزائر الوطن : وطن يملك ثروات طبيعية و بشرية مغرية / تنتظر نضال شعبها / يغتصب الاحتلال الفرنسي أراضيها.

ومنه فالقرية هنا تحمل خطابا للقارئ،وهو أن القرية ما هي إلا الجزائر وأنها رافضة للاستعمار الفرنسي و هي تكافح من أجل استرجاع السيادة الوطنية ، من خلال اندلاع الثورة التحريرية الكبرى.

و يرجع بنا القاص محمد دحو في المجموعة القصصية عندما ينقشع الغيم في قصته (جدتنا زينب) التي تحكي و تتذكر مع أحفادها قصة إحدى العمليات التي قامت بها البطلة حسيبة بن بوعلي و صالح بن يوسف و آخرون أثناء الثورة ، الفاتح من نوفمبر 1954 ، وكيف قامت المرأة / حسيبة بن بوعلي الشهيدة على تفجير حانة "المسيو جورج "، ثم يصف لنا القاص القرية بعد الاستقلال و هي تعيش في هدوء " و من قبل كانت هذه القرية الهادئة تنام في روعة و خشوع مستلقية إلى أطرافها كأنها عابد ناسك يعيد تسابيح صلاة الفجر "[15]، هذه القرية التي كانت تعيش فيها الحاجة زينب لحظات الحزن و الفرح و تسمع فيها أحاديث الحرب.

نخلص إلى أن القرية في المجموعات القصصية التي بين أيدينا، ظهرت في الجزائر إبان تبنيها للنظام الاشتراكي والإصلاحات التي قامت بها الثورة الزراعية أدت إلى ظهور ما يسمى بالقرية النموذجية، وقد كانت هذه القرى إبان الحقبة الاستعمارية من الأماكن التي ساهمت بأبنائها في تحريره والذود عنه.

2- البعد الإيديولوجي للمقهى:

لا تكاد تخلو المجموعات القصصية التي بين أيدينا من الحديث عن الأفكار الإيديولوجية، خاصة ما تعلق منها في تلك الفترة "فترة الثمانيات" تتحول في السياسة الجزائرية التي قضت على الإقطاعية وتبنت نظام الاشتراكية بتحقيق ما يسمى بالثورة الزراعية ولم تكن الآراء واحدة حول هذه الأخيرة فمنهم من رحب بها و تحدث عن انجازاتها و علاقتها بالأمكنة، فكانت سببا في تحولها و تطورها خاصة ما يسمى بالقرية الاشتراكية مثلا في قصة " غائب في زمن الحضور " لعزي بوخالفة" التي تصور مدى نجاح الثورة الزراعية و ذلك

من خلال انبهاره بقريته "نزلة داب راقد" التي تركها أيام الثورة التحريرية الكبرى و هاجر إلى فرنسا ثم عاد إليها فتفاجأ بالقرية و قد أصبحت كبيرة و تغير اسمها"[16]، إلا أن بعض القصص قد أشارت إلى أن الفكر الاشتراكي لم يحقق شيئا ، بل إنه كان سببا في خيبات الأمل المتتالية.

وقد تجلى البعد الإيديولوجي و تأثيره على المكان في قصة " حتى لا يموت مرة أخرى " للقاص عبد الحميد بورايو"،حيث تدور هذه القصة حول مشروع الثورة الزراعية التي كانت أمل الجزائريين الذين بنوا عليها أحلامهم الكبيرة، و قد كان بطل القصة يناظر في الملتقيات العربية فحاول القاص من خلال ذكر بعض الأمكنة لإظهار مدى القهر الاجتماعي الذي تعيشه طبقة اجتماعية على حساب أخرى، حيث يظهر كرهه الشديد للإقطاعية التي سببت الثراء الفاحش للطبقة المالكة.

يظهر المقهى في هذه القصة كمكان تلتقي فيه كل شرائح المجتمع، فهو مكان رغم شعبيته إلا أنه يستقطب كل أفراد المجتمع "الغني، الفقير، المثقف و الجاهل...إلخ" عندما يصبح المقهى مكانا لالتقاء الأفكار فيكون عبارة عن ملتقى إيديولوجي فيه تجتمع الأفكار و الأفكار المضادة...يرمز القاص للإقطاعية بذلك الرجل الذي دخل المقهى والذي هو عبارة عن كومة من الشحم، ويرمز للاشتراكية بالرجل الذي يتحمل همّ المجتمع ويلقي محاضراته عنها، ويلجأ للمقهى عندما تضيق عليه:

" دخل اللوتس" وجال ببصره...يصعب على الإنسان أن يجد مكانا في هذه المقهى بعد الظهيرة... استدار وحين هم بالخروج إلى اليمين رأى اثنين كانا جالسين خلف الباب يغادران المكان، فأسرع وجلس على المقعد المقابل لشارع "ديدوش مراد "جاء القهواجي ومسح الطاولة.

- أريد قهوة نص نص."

تسربت إلى نفسه موسيقى بتهوفن ورائحة عطر ممتزجة برائحة دخان السجائر، المجتمع على شكل سحابات متقطعة في جو المقهى، وضوء أحمر يغمر الاشياء فيعطي الستائر و الأرائك وبدلات مستخدمي المقهى لون الدم"[17]. .

في التشكيل الظاهري لهذا المقهى "مقهى اللوتس" يظهر بأنه مقهى تلتقي فيه الأجساد بالضوء، يبدو أنه مقهى مكتظا على آخره خاصة بعد الظهيرة، باعتبار أنّ هذا المكان يجمع

ما بين الراحة وشرب القهوة و المشروبات و التمتع بالنظر إلى الخارج بحيث يكون مفتوحا إلى حدّ ما، فهو هنا يفتح على شارع "ديدوش مراد" وتبدو مساحة مقهى اللوتس مساحة تتسم بالاتساع و الضيق، فالطاولات و الكراسي و الستائر و الأرائك تزيد قيمتها الجمالية من خلال الموسيقى و الأضواء الرائعة فتشكل لنا جماليات هذا المكان الذي ينفيها عنه اللون الأحمر، فتتحول المكان إلى لون الدم.

وهنا يشير الكاتب إلى العلاقات الفكرية المتصارعة داخل هذا المكان.

"إذ صوت فرامل بقوة، ورأى من خلف زجاج النافذة سيارة "مرسيدس" وقفت بجانب الطوار المقابل غادرها كهل بدين يميل إلى القصر، عبر الطريق و دخل إلى المقهى ، وعندما لم يجد مقعدا في الداخل جلس قبالة كومة من الشحم فاضت على جانبي المقعد رغم سعته، منتفخ الوجه بارز العينين تميل بشرته إلى الاحمرار، ولشدة اكتناز عنقه بقى زر القميص مفتوحا... مدّ الرجل يده يخفف من ضغط ربطة العنق، ويمسح قطرات من العرق تصببت على جبينه، عندما أحضر القهواجي القهوة قال له الرجل بصوت غليظ:

كوكا باردة .

شعر بتعب واسترخاء يسرى في مفاصله فغاص في المقعد الوثير واستقرت عيناه على بطن الرجل، شعر بتضاؤل جسمه أمام هذه الكرة الكبيرة"[18].

المقهى مكان منفتح، حيث تتمازج فيه ملامح وأفكار الناس بكل ما يحملونه من اختلافات فهو ليس مكانا خاصا بفكر أو ثقافة معينة وعلى روّاده أن يحترموا بعضهم البعض، وإن اختلفت الأفكار و القيم و الاتجاهات السياسية لذلك نجد بطل القصة لا يعطي -بالنظر إلى ذلك الرجل الإقطاعي الضخم، الذي يصفه بكومة الشحم- للمقهى وظيفته الاجتماعية الثابتة أيضا إلا أن المقهى عند بطل القصة يقوم بوظائف أخرى، منها الراحة، الابتعاد عن بعض الأماكن بالوحدة والشرود و التدبر في خلق الله... فالشعور بالتعب دفع الشخصية للمقهى من أجل الارتخاء فغاص في مقعده الوثير، إلا أن عينيه نجدهما قد استقرتا على بطن الرجل، فأحس بصغره أمامه "شعر بتضاؤل جسمه أمام هذه الكومة" ومنه فالمقهى عنده هو مكان للنسيان و التذكر في آن واحد، وطبيعي أن يلجأ إليه بعد موت عمه الرجل الطيب الذي كان يشجعه على إلقاء محاضراته عن الاشتراكية و كأنه

يشير بذلك إلى فشل هذا النظام و فشل ما يسمى بالثورة الزراعية و السبب في موته هي مخلفات النظام الإقطاعي المستبد:

"...سأل عنك عندما تأخرت في المرة الأخيرة عن زيارته في المستشفى وقبل أن تودعه قلت له:

- لن أتمكن من زيارتك يوم الثلاثاء المقبل.

- لماذا؟

- سأشارك في ملتقى دراسي حول الثورة الزراعية.

انبسطت أساريره ولمعت عيناه وقال بصوت خافت:

- زارني يوم الأحد أحد سكان "البلد" وذكر أن أملاك الحاج أحمد وزعت على الخماسة"[19].

- تشكل المقهى مكانا للاسترجاع فنجد أن السارد يبدأ في استرجاع الأحداث الماضية و هو جالس فيها ينظر في وجوه روادها وتارة ينظر للشارع، إلا أن فكره يجول في خواطر ماضية وأحداث أثرت فيه، حيث يتذكر فرح عمه ببداية زوال الاقطاعية، بتوزيع أملاك الحاج أحمد على الخماسة. وكان ذلك قبل موته. ويبقى المقهى هو نقطة التقاء الأفكار و الشخوص "ففي تبدل مناخ المقهى و ألوانها وحياتها تختفي شخوص وتظهر شخوص أخرى و تظهر في الوقت نفسه ظلال الشخوص و المحركات الاساسية لها"[20]، وهنا يظهر ظل شخصية عمه المتوفي بسبب السل:

" قلت للطبيب:

- هل هو السل؟
- نعم مع ضربة هواء قوية.
- أصيب منذ مدة طويلة.
- .....

- عندما كنت تنتظر نهاية الفحص استوقفتك لوحة معلقة كتب عليها بحروف غليظة سوداء: "أسباب السل:

- سوء التغذية، مسكن لا يتوفر فيه على الشروط الصحية اللازمة، وابتسمت...وابتسمت في استخفاف...إنهم نسوا شيئا آخر بل نسوا الأسباب الحقيقية"[21].

تظل الشخصية في المقهى تتذكر تفاصيل أحداث ماضية، يلوم نفسه كيف ترك عمه يموت فيما كان هو يشرح ميثاق الثورة الزراعية في الملتقى، ويظن أن عمه سيعيش ليرى اضمحلالها... ولكن هذا النظام مازالت رواسبه المتمثلة في هذا الرجل وأمثاله:

"ضرب الرجل بيده على الطاولة ونادى القهواجي بصوته الغليظ: ناولني جريدة وأعطني كسكروث..." [22]، فالمقهى هو مكان تتجلى فيه الأفكار الأيديولوجية ، وقد وفق الكاتب في اختيار المكان الذي من خلاله بسط للمتلقي الأفكار التي كانت تراوده حول النظام الإقطاعي/ النظام الاشتراكي المتمثل في الثورة الزراعية، فلم يصبح هذا المكان مجرد وعاء مؤقت لمرتاديه بقدر ما أصبح مكانا للراحة و الشرود و الجلوس مع النفس رغم ازدحامه و الضجيج الذي يلفه، حيث تلتقي فيه كل شرائح المجتمع،.

فهو النهاية المكانية لسلسلة الأماكن و الأفكار و التعب الذي يرافق الشخصية، تتلخص فكرة المقهى في هذا النص بأنه مكان لشرب القهوة و المشروبات واللعب بالورق و...إلا أنه يظهر كمكان لاسترجاع الماضي و الراحة من الوظائف الحياتية المتعددة المهنية منها و الأسرية، وتأمل الآخر الذي يمثل فكرا أيديولوجيا رسخ لمبدأ الامتلاك و القوة، فيظل ذلك الرجل، ذو الصوت الغليظ الذي يعبر عن الطبقة المالكة كومة من الشحم:

"- صاح الرجل بصوته الغليظ:

- قهواجي، تعال خذ الحساب...

لما حضر القهواجي دفع كل منهما حسابه و ألقى هو نظرة على الجريدة الموضوعة على الطاولة، فرأى في صفحة الإعلانات صورة رجل وضعت في إطار وكتب فوقها بخط أسود غليظ "هذا الشاب مختال" وتحتها قرأ " على كل شخص كان ضحية لأعماله الدنيئة أن يتقدم إلى الفرقة الجنائية لأمن الجزائر الكبرى خرج من المقهى وخيّل إليه أن وجهي الرجل و الشاب يتبادلان الموضع في إطار الجريدة وشيئا فشيئا اتسع الإطار واختفت صورة الشاب التي رآها في الجريدة، وحلت محلها صورة رجل المقهى الضخم..." [23]

المقهى يظهر هنا مسرحا لحوار نفسي يدور في ذهن الشخصية حيث تبدأ الأحداث فيه وتنتهي فيه، وهو مكان مفتوح/ مغلق، واسع/ضيق، مفتوح على عدة أمكنة وكذلك كما أنه ينغلق على عدة وجوه وشخصيات تؤثثه نشهد صراعا فكريا و إيديولوجيا، ولكنه يتسع لكل

هذه الشخصيات بكل ما تحمله من أفكار و توجهات وتضيق على مجموعة من العلاقات التي تربط رواده.

خاتمة:

لقد حاول القاص أن يجعل من المقهى مكانا لرصد التحولات الأيديولوجية التي تميز القرية/ المدينة في ذلك الوقت، حيث يشهد هذا المكان على وجود الطبقية وما تمارسه الإقطاعية على المجتمع، ولذا كان "مقهى اللوتس" وعاء زمنيا لبعض الممارسات الإيديولوجية التي تنعكس على المجتمع في تلك الفترة وتؤرخ لظهور ما يسمى بالثورة الزراعية.

في الأخير يبدو المكان في العمل القصصي مثله مثل المكان في النص الروائي أو الشعري، له أبعاد و رموز ودلالات، وقد تجلى البعد الأيديولوجي من خلال القرية و المقهى هذا الأخير الذي جسد الصراع القائم بين الإقطاعية والاشتراكية.

*- **الهوامش** :

1- عبد الصمد زايد : المكان في الرواية العربية ، الصورة والدلالة ، دار محمد علي للنشر تونس ، ط3، 2003، ص202.
2- المرجع نفسه، ص237.
3- علاوة بوجادي : شذرات من اعترافات مارق ، ص93.
4- مصطفى نطور : من فيض الرحلة ، ص26.
5- بشير خلف : القرص الأحمر ، ص34.
6- المصدر نفسه، ص5.
7- المصدر نفسه، ص17.
8- إدريس بوذيبة: حين يبرعم الرفض ، ص 17.
9- عزي بوخالفة : البرق ، ص119.
10- عبد الحميد بورايو ، عيون الجازية ، ص13.
11- المصدر نفسه ، ص13.
12- مصطفى الفاسي : حداد النوارس البيضاء،ص25.

13- المصدر نفسه ، ص 25.

14- المصدر نفسه ، ص26.

15- عزي بوخالفة : البرق ، 119.

16- عبد الحميد بورايو : عيون الجازية ، ص5.

17- المصدر نفسه ، ص6.

18- المصدر نفسه ، ص7.

19- ياسين النصير : الرواية والمكان ، ص85.

20- عبد الحميد بورايو : عيون الجازية ، ص8.

21- المصدر نفسه ،ص9.

22- المصدر نفسه ، ص11.

***- قائمة المصادر و المراجع**

1- بشير خلف : القرص الأحمر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، ط1 ، 1986.

2- بوخالفة عزي : البرق ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، ط1، 1984.

3- بوذيبة إدريس: حين يبرعم الرفض ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط1، 1983.

4- بورايو عبد الحميد :عيون الجازية ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، ط1، 1983.

5- علاوة بوجادي : شذرات من اعترافات مارق ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، ط1، 1986.

6- الفاسي مصطفى : حداد النوارس البيضاء ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، ط1، 1984.

7- نطور مصطفى : من فيض الرحلة ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ط1، 1986.

8- زايد عبد الصمد: المكان في الرواية العربية ، الصورة والدلالة ، دار محمد علي للنشر تونس ط1، 2003.

9- النصير ياسين : الرواية والمكان ، دراسة المكان الروائي ، دار نينوى للنشر والتوزيع ، سورية دمشق ،ط2، 2010.